



لقد جعل الله قيم الحق والعدل ميزاناً بأيدي العلماء الربانيين، والأئمة المهدىين، الذين ائتمنهم على دينه، وما سواها أهواه متناحرة، وظلمات مدلهمة، وظلم وعدوان، وبغي وبهتان.. فأول مسؤولياتهم أن يعلنوا قيم الحق والعدل للناس، ويعلمونهم إياها، وينشروا حقائقها ويشيعوها، ويبشّرُوا بها بكلّ وسيلة، ويدعوا الناس للالتزام بها، وإيثارها على ما سواها.. وهم في ذلك يقفون على صراط الله المستقيم، وهديه القويم، يبشّرون به، ويدعون إليه، فإن عجزوا عن ذلك أو ضعفوا فلا أقلّ من أن يلزموا الصمت، ويعزلوا الناس، ولا يعينوا الظالم على ظلمه، والباغي على بغيه..

وإنّ الأئمة المهدىين، والعلماء الربانيين في كلّ عصر ومصر لا يقفون بين الأمة والحاكم على مسافة واحدة، بل هم في صف الأمة وأقرب إليها، لا استرضاءً للعامّة وإيثاراً للأهواه، ولكن لأنّ الأمة - والتاريخ شاهد صدق على ذلك - تنتقص حقوقها في أغلب الأحوال، ويعتدى على حرماتها، وتصوب إليها سهام المظالم من كلّ باع متندّ، ويضعف أكثر أفرادها عن المطالبة بحقوقهم، فينامون على الضيم، ويستكينون للظلم، مما يجرّهم إلى ألوان من الفساد لا تقف عند حد.. ويتطّلون إلى العلماء، وهم الفتّة الرائدة الراسدة، وينتظرون منهم أن يتّصروا لهم، ويطالبوها بحقوقهم.. فهل من المسؤلية أن يخذل العلماء الأمة التي وثقت بهم، وعلقت آمالها عليهم؟!

إنّ الأمة تريد من علمائها أن يكونوا لسانها الناطق بالحقّ، وقلبه النابض بالإيمان والمهدى، وعقلها المفكّر، الذي يفقه دين الله، ويعي الواقع، بكلّ ملابساته وتعقيداته، ويعلم ويبصر، وأن يكونوا يدها المغيبة في كلّ نازلة، ورائدتها القدوة في كلّ ميدان من ميادين الخير.. ولا نقول هذا الكلام من نسج الخيال، ففي التاريخ الإسلامي وفي الحاضر نماذج مشرقة عن ذلك كلّه..

ولك أن تقارن تلك الآيات التي وصفت حال علماء السوء، وما فيها من التهديد المخيف، والوعيد الشديد بحال العلماء بالله، أهل الخشية والتعظيم لأمر الله، الذين يؤثرون مرضاه الله - تعالى - على كلّ شيء، وقد امتدحهم الله - تعالى - بقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: 28]، فقد دلت هذه الآية الكريمة على أنّ الخشية لا تكون إلا بالمعرفة، فالعلماء هنا هم العلماء به - سبحانه -، كما دلت على أنّ الخشية ملاك الخيرات، لأنّ من خشي الله أتى منه كلّ خير، ومن أمن اغترّ بالله، واجترأ على كلّ شرّ، ومنه قوله - عليه السلام - : ((من خاف أدلّج، ومن أدلّج بلغ المنزل)).. وشرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به - سبحانه - كان أخشي منه، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - : ((إني أخشاكم لله وأتقاكم له)).

قال الإمام الرازى: " قوله - تعالى - : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ} [فاطر: 28]، فإنَّ الله - تعالى - وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب، أحدها: الإيمان: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمِنًا بِهِ} [آل عمران: 7]، وثانية: التوحيد والشهادة: {شَهَدَ اللَّهُ.. إِلَى قَوْلِهِ: - وَأُولُوا الْعِلْمِ} [آل عمران: 18]، ثالثها: البكاء: {وَيَخْرُونَ لِلأنْقَافِ يَكُونُونَ..} [الإسراء: 109]. رابعها: الخشوع: {إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ..} [الإسراء: 107] الآية. وخامسها: الخشية: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ}.

فالخشية بقدر معرفة المخشي، والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه. وهذا دليل على أن العالم أعلى درجة من العايد، لأن الله - تعالى - قال: {إِنَّ أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانُكُمْ...} [الحجرات: 13]، فبين أن الكرامة بقدر التقوى، والتقوى بقدر العلم. فالكرامة بقدر العلم لا بقدر العمل، نعم العالم إذا ترك العمل قدح ذلك في علمه، فإن من يراه يقول: لو علم لعمل. ثم قال - تعالى - : {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}، ذكر ما يوجب الخوف والرجاء، فكونه عزيزاً ذا انتقام يوجب الخوف التام، وكونه غفوراً لما دون ذلك يوجب الرجاء البالغ.

والتفوى ثمرة العلم، قال الله - تعالى - : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ} [فاطر: 28]، فلا تقوى إلا للعالم، فالمتقي العالم أتم علمه، والعالم الذي لا يتقي كشارة لا ثمرة لها، لكن الشجرة المثمرة أشرف من الشجرة التي لا تثمر بل هو حطب، وكذلك العالم الذي لا يتقي حصب جهنم.

وقوله - تعالى - : {ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}، إذا ضُمِّ إليها قوله - تعالى - : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ} [فاطر: 28]، صار المجموع دليلاً على فضل العلم والعلماء، وذلك لأنه - تعالى - بين أنَّ العالم هو صاحب الخشية، وهذه الآية وهي قوله: {ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} تدل على أن صاحب الخشية تكون له الجنة فيتولد من مجموع الآيتين أنَّ الجنة حقَّ العلماء. والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشية، فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفة على وجهها فليست علومهم بمقدمة لهم من خشية الله، ذلك لأنَّ العالم بالشريعة لا تلبس عليه حقيقة الأسماء الشرعية، فهو يفهم مواقعها حقَّ الفهم، ويرعاها في مواقعها، ويعلم عوائقها من خير أو شر، فهو يأتي ويدع من الأفعال ما فيه مراد الله ومقصد شرعيه، فإنَّ هو خالف ما دعت إليه الشريعة في بعض الأحوال أو في بعض الأوقات لداعي شهوة أو هوئ أو تعجل نفع دنيوي كان في حال المخالفة موقناً أنه مُورط فيما لا تحمد عقباه، فذلك الإيقان لا يلبث أن ينصرف به عن الاسترسال في المخالفة بالإلقاء أو الإفلال. وغير العالم إن اهتدى بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء وخشيتهم متولدة عن خشية العلماء. قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد: "والعلم دليل على الخيرات وقادِ إِلَيْهَا، وأقرب العلماء إلى الله أولاهم به، وأكثرهم له خشية وفيما عنده رغبة".

وخشية الله - تعالى - هي امتلاء القلب بالله، وخشية عقابه، ورجاء ثوابه، وأن يكون ذاكراً لله، شكوراً لنعمه، راجياً قبول طاعته، والعلماء بالله هم أعلم الناس به ذاتاً وصفاتٍ، وقدراً وإكباراً.

قال الحسن البصري: "العالم: من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الآية: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِ الْعُلَمَاءِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}."

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - : "كفى بخشية الله - تعالى - علمًا، وبالاغترار جهلاً."

وقال سعيد بن جبیر: "الخشية: هي التي تحول بينك وبين معصية الله - عز وجل - ."

وقال مالك: "إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب."

وبعد؛ فإنَّ فيصل التفرقة بين علماء السوء وعلماء الآخرة إخلاص القلب لله - عز وجل - ، وابتغاء مرضاته، وأن تكون الآخرة نصب عين طالب العلم فيما يأتي ويدرك، ومتنهى سعيه في علمه وعمله.. ومن ثم فقد جاء التهديد المخيف، والوعيد الشديد لطالب العلم إذا كان سعيه للدنيا وحطامها، وقصده الرياء والسمعة، ومنافسة الخلق على الجاه والمكاسب، وأوهام

المناصب، عن سليمان بن يساري قال: "تفرق الناس عن أبي هريرة - رضي الله عنه - فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيئ حديثاً حدثنا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: نعم، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إن أول الناس يقضى يوم القيمة عليه رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمة فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فاتى به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلم العلم وعلمه؛ وقرأت في القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم. وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار. ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فاتى به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جoward. فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار)).

#### أمثال قرائية عن علماء السوء:

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، والرضا عنّ اتبع سنته، واقتفي هديه، ونصر دينه، وبعد؛ فقد ضرب الله لعلماء السوء مثلين شنيعين مخيفين في كتابه، تحذيراً لكل من حمل أمانة العلم وتخويفاً، ليعلموا أن مسؤولية العلم كبيرة، وأمانة الحق ثقيلة، وأنهم على نعمة من الله عظيمة، إن لم يقوموا بحقها كانوا من الهالكين يوم القيمة. يقول الله - تعالى - : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَا آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ \* وَلَوْ شِئْنَا لَرَعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرُكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْفَحْصَ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ} [الأعراف: 175-176].

ويقول - تعالى - : {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِسْرًا مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الجمعة: 5].

وتتأمل المثل الأول مثل {الذى آتيناها آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين}، وتدبّر هذا التعبير الإلهي المعجز: {آتيناها آياتنا فانسلخ منها}.. فهذا صنف من علماء السوء المنتكسين عن الحق والهدى، الذين باعوا دينهم بثمن بخس، من دنيا خسيسة، أو باعوا دينهم بدنيا غيرهم، أو بدنيا عدوهم.. وتلك أسوأ صورة لهم.. واسمح لي أن نقف قليلاً مع توضيح هذا المثل، كما جاء في بعض التفاسير، وما له من آفاق وأبعاد..

**قال صاحب تفسير المناج:** "هذا مثلك ضرر الله - تعالى - للمكذبين بآيات الله المنزلة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - على ما أيدتها به من الآيات العقلية والكونية، وهو مثلك من آتاه الله آياته فكان عالماً بها حافظاً لقواعدها وأحكامها، قادرًا على بيانها والجدل بها، ولكنه لم يُؤتِ العمل مع العلم، بل كان عملاً مخالفًا لعلمه تمام المخالف، فسلبه؛ لأن العلم الذي لا يُعمل به لا يثبت أن يزول، فأشبّه الحياة التي تتسلّخ من جلدها وتخرج منه وتتركه على الأرض - وهيسمى هذا الجلد المسلاخ - أو كان في التباين بين علمه وعمله كالمسلاخ من العلم التارك له، كالنّوب الخلق يلقيه صاحبه، والثعبان يتجرد من جلده حتى لا تبقى له به صلة.. لقد لحقه الشيطان، فأدركه وتمكّن من الوسوسه له، إذ لم يبق لديه من نور العلم وال بصيرة ما يحول دون قبول وسوسته، وأعقب ذلك أن صار من الغاوين، أي الفاسدين المفسدين.

**ويقول الإمام الرازي في تفسيره:** "وهذه الآية من أشد الآيات على أصحاب العلم، وذلك لأنّه - تعالى - بعد أن خصّ هذا الرجل بآياته وبيناته، وعلمه الاسم الأعظم، وخصّه بالدعوات المستجابية، لما اتبّع الهوى انسلخ من الدين وصار في درجة الكلب، وذلك يدل على أن كلّ من كانت نعم الله في حقه أكثر، فإذا أعرض عن متابعة الهدى، وأقبل على متابعة الهوى، كان بعده عن الله أعظم، وإليه الإشارة بقوله - عليه الصلاة والسلام - : ((من ازداد علماً، ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً)) أو لفظ هذا معناه. ثم قال - تعالى - : {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرُكُهُ يَلْهَثْ}، قال الليث: الله هو

أن الكلب إذا ناله الإعياء عند شدة العدوى عند شدة الحر، فإنه يدخل لسانه من العطش.

واعلم أن هذا التمثيل ما وقع بجميع الكلاب، وإنما وقع بالكلب اللاهث، وأخسن الحيوانات هو الكلب، وأخسن الكلاب هو الكلب اللاهث، فمن آتاه الله العلم والدين فمال إلى الدنيا، وأخذ إلى الأرض، كان مشبهًا بأحسن الحيوانات، وهو الكلب اللاهث، وفي تقرير هذا التمثيل وجوه: الأول: أن كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب اللاهث فإنه يلهث في حال الإعياء، وفي حال الراحة، وفي حال العطش، وفي حال الري، فكان ذلك عادة منه وطبيعة، وهو مواطن عليه كعادته الأصلية، وطبيعته الخسيسة، لا لحاجة وضرورة، فكذلك من آتاه الله العلم والدين، أغناه عن التعرض لأوساخ أموال الناس، ثم إنّه يميل إلى طلب الدنيا، ويلقى نفسه فيها، كانت حاله كحال ذلك اللاهث، حيث واظب على العمل الخسيس، والفعل القبيح، لمجرد نفسه الخبيثة. وطبيعته الخسيسة، لا لحاجة والضرورة. والثاني: أن الرجل العالم إذا توسل بعلمه إلى طلب الدنيا، فذاك إنما يكون لأجل أنه يورد عليهم أنواع علومه، ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها، ولا شك أنه عند ذكر تلك الكلمات، وتقرير تلك العبارات يدخل لسانه، ويخوجه لأجل ما تمكن في قلبه من حرارة الحرص، وشدة العطش إلى الفوز بالدنيا، فكانت حالته شبيهة بحالة ذلك الكلب الذي أخرج لسانه أبداً من غير حاجة ولا ضرورة، بل بمجرد الطبيعة الخسيسة. والثالث: أن الكلب اللاهث لا يزال لهه أبنته، فكذلك الإنسان الحريص لا يزال حرصه أبنته.

أما قوله - تعالى - : {إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثْ}؛ فالمعنى أن هذا الكلب إن شد عليه وهيج لهث وإن ترك أيضاً لهث، لأن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له، فكذلك هذا الحريص الضال إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، لأن ذلك الضلال والخسارة عادة أصلية وطبيعة ذاتية له".

**ويقول سيد - رحمه الله :** "إن مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات.. إنسان يؤتى الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهوى والاتصال والارتفاع.. ولكنّه ينسلخ من هذا كلّه انسلاخاً. ينسلخ كأنّما الآيات أديم له متلبس بلحمه فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.. أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟.. ها هو ذا ينسلخ من آيات الله ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي، وينحرف عن الهوى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق، فيلتتصق بالطين مشهد مفزع بائس نكداً.. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقاً بالأرض، ملوثاً بالطين. ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب، يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد.. كلّ هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثير.. فإذا انتهى إلى المشهد الأخير منها.. مشهد اللهاث الذي لا ينقطع.. سمع التعليق المرهوب الموحى، على المشهد كله: {ذلِكَ مَثُلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصُرِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ \* سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}.. ذلك مثلهم! فلقد كانت آيات الهوى ومحويات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم.. ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخاً. ثم إنّا هم أمساخ شأنها الكيان، هابطون عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان.. مكان الكلب الذي يتمرغ في الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يردون به إلى علينا، كانوا من فطرتهم الأولى في أحسن تقويم، فإذا هم ينحطون منها إلى أسفل سافلين! {سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ!}..

وهل أسوأ من هذا المثل؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعرى من الهوى؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟ وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يعرّيها من الغطاء الواقي والدرع الحامي، ويدعها غرضاً للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق، اللهاث لهاث الكلب أبداً!!! وهل يبلغ قول قائل في وصف هذه الحالة وتصويرها على هذا النحو العجيب الفريد إلا هذا القرآن العجيب الفريد!!

وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ في حياة البشر ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة

لتحريف الكلم عن مواضعه، واتباع الهوى.. هوامن وهوى المسلمين الذين يملكون لهم في وهمهم عرض الحياة الدنيا.  
وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيف عنها. ويعلن غيرها. ويستخدم علمه في التحريرات المقصودة،  
والفتاوی المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتمد على سلطان الله وحرماته في الأرض  
جميعاً؟

ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب في تحريم الربا كله عاماً ثم يكتب في حل ذلك عاماً آخر.. ورأينا منهم من يبارك الفجور  
وإشاعة الفاحشة بين الناس، ويخلع على هذا الوحل رداء الدين وشاراته وعناناته.. فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصداقاً لنهاية  
الذى آتيناه آياتنا، فانسلخ منها، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين؟

وماذا يكون هذا إلا أن يكون المسمى الذي يحكى الله - سبحانه - عن صاحب النبأ: {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى  
الْأَرْضِ وَأَتَبَعَ هَوَاهُ}. فَمَثَلُهُ كَمَثَلُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تُنْرُكْهُ يَلْهَثْ!.. ولو شاء الله لرفعه بما آتاه من العلم بآياته.  
ولكته - سبحانه - لم يشاً، لأن ذلك الذي علم الآيات أخذ إلى الأرض واتبع هواه، ولم يتبع الآيات..

إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعاً  
ذليلاً للشيطان، ولينتهي إلى المسمى في مرتبة الحيوان! والإنسان الذي لا يتبع منهج الله يكون مضطرباً في الحياة،  
حتى وإن كان في نعمة، لأنّه معزول عن الله، وما دام معزولاً عن الله تجده دائم التساؤل: أيديوم لي هذا النعيم أو لا يديوم؟ إنه  
يعيش دائماً في قلق ورعب.. ومثله كالكلب يلهم حال راحته، ويلهم حال تعبه.

ثم ما هذا اللهاث الذي لا ينقطع؟ إنه في حسناً كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهده في القرآن.. ذلك اللهاث وراء  
أعراض هذه الحياة الدنيا التي من أجلها ينسلخ الذين يؤمنون الله آياته فينسلخون منها.. ذلك اللهاث القلق الذي لا يطمئن  
أبداً. ولا يتركه صاحبه سواء وعظته أم لم تعظه، فهو منطلق فيه أبداً! والحياة البشرية ما تني تطلع علينا بهذا المثل في كل  
مكان، وفي كل زمان، وفي كل بيته.. حتى إنّه لتمر فترات كثيرة، وما تقاد العين تقع على عالم إلا وهذا مثله. فيما عدا الندرة  
النادرة ممن عصم الله، ممن لا ينسلخون من آيات الله، ولا يخلدون إلى الأرض، ولا يتبعون الهوى، ولا يستذلهم الشيطان،  
ولا يلهثون وراء الحطام الذي يملكه أصحاب السلطان!.. فهو مثل لا ينقطع وروده وجوده، وما هو بمحصور في قصة  
ووقيع، في جيل من الزمان! وقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوه على قومه الذين كانت تنزل عليهم آيات  
الله، كي لا ينسلخوا منها وقد أتواها. ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى  
هذه النهاية البائسة، وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو.  
فإنّهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة! ولقد رأينا من هؤلاء - والعياذ بالله - في زماننا هذا من كان كائناً يحرص  
على ظلم نفسه، أو كمن يغضّ بالنواخذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينمازه إياه أحد من المتسابقين معه في الحلبة!  
 فهو ما يبني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم! وما يبني يلهم وراء هذا المطعم لهاطاً، لا ينقطع حتى يفارق هذه  
الحياة الدنيا! اللهم اعصمنا، وثبت أقدامنا، وأفرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين..

ثم نقف أمام هذا النبأ والتعبير القرآني عنه وقفه أخرى.. إنه مثل للعلم الذي لا يعص صاحبه أن تنقل به شهواته ورغباته  
فيخلد إلى الأرض لا ينطلق من ثقلتها وجاذبيتها وأن يتبع هواه فيتبعه الشيطان ويلزمه ويقوده من خطام هذا الهوى..  
ومن أجل أنّ العلم لا يعص يجعل المنهج القرآني طريقه لتكوين النفوس المسلمة والحياة الإسلامية، ليس العلم وحده لمجرد  
المعرفة، ولكن يجعل العلم عقيدة حارة دافعة متحركة لتحقيق مدلولها في عالم الضمير وفي عالم الحياة أيضاً..

إن المنهج القرآني لا يقدم العقيدة في صورة (نظيرية) للدراسة.. كذلك هو لا يقدم هذا الدين دراسات في (النظام الإسلامي) ولا  
في (الفقه الإسلامي) ولا في (الاقتصاد الإسلامي) ولا في (العلوم الكونية) ولا في (العلوم النفسية) ولا في أية صورة من صور  
الدراسة المعرفية! إنما يقدم هذا الدين عقيدة دافعة محية موقظة رافعة مستعلية تدفع إلى الحركة لتحقيق مدلولها

العملي فور استقرارها في القلب والعقل، وتحيي موات القلب فينبض ويتحرك ويطلع، وتوقف أجهزة الاستقبال والاستجابة في الفطرة فترجع إلى عهد الله الأول وترفع الاهتمامات والغايات فلا تثقلها جاذبية الطين، ولا تخلد إلى الأرض أبداً.

ويقدمه منهاجاً للنظر والتدبر يتميز ويتفرد دون مناهج البشر في النظر، لأنّه إنما جاء لينقذ البشر من قصور مناهجهم وأخطائهم وانحرافها تحت لعب الأهواء، وثقلة الأبدان، وإغواء الشيطان! ويقدمه ميزاناً للحق تنضبط به عقول الناس ومداركهم، وتقاس به وتوزن اتجاهاتهم وحركاتهم وتصوراتهم، فما قبله منها هذا الميزان كان صحيحاً لتمضي فيه وما رفضه هذا الميزان كان خطأً يجب الإقلال عنه.

ويقدمه منهاجاً للحركة يقود البشرية خطوة خطوة في الطريق الصاعد إلى القمة السامية. وفق خطاه هو ووفق تقديراته.. وفي أثناء الحركة الواقعية يصوغ للناس نظام حياتهم، وأصول شريعتهم، وقواعد اقتصادهم واجتماعهم وسياستهم. ثم يصوغ الناس بعقولهم المنضبطة به تشريعاتهم القانونية الفقهية، وعلومهم الكونية والنفسية، وسائل ما تتطلبه حياتهم العملية الواقعية.. يصوغونها وفي نفوسهم حرارة العقيدة ودفعتها، وجدية الشريعة وواقعيتها، واحتياجات الحياة الواقعية وتوجيهاتها.

هذا هو المنهج القرآني في صياغة النفوس المسلمة والحياة الإسلامية.. أما الدراسة النظرية لمجرد الدراسة، فهذا هو العلم الذي لا يعصم من ثقلة الأرض، ودفعه الهوى، وإغواء الشيطان، ولا يقدم للحياة البشرية خيراً!

المصدر: موقع المسلم

المصادر: